

إِذَا فَاتَرَكَ غَيْرَ اللَّهِ ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ في أن أمرك بتوحيده، وفي عبادته، فأين التراب ورب الأرباب، فلأنه أكرمنا وسمح لنا - بل وأمرنا - أن نعبده لا سواه، لنستظل بظل رحمته ونخطو خطوات، لذلك ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٧٤):

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ في ألوهيته وهم يشركون به بعض خلقه، ولا يعبدونه حق عبادته، ولا يطيعونه حق طاعته متجاهلين عظمته ومحتده.

ثم ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ في ربوبيته ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ...﴾ (١) وعلى الجملة ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢) فقوته وعزته تقتضيان توحيده وإنزال وحيه بياناً لكيف يوحدون ويعبدون؟

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ حيث يرجعون إليه في قيامته ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾.

فنكران توحيد الله تضييع لقدره، ونكران وحيه تضييع لقدره، ونكران قيامته تضييع لقدره، وكل ذلك من الإشراف به ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾! وقدّر الشيء منزلته المتميز بها عن غيره، ولكل شيء قدر محدود جعله الله له ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣) ولكن الله ليس له قدر مجعول ولا محدود، فباطل قدره أن يقدر بقدر المخلوقين كما يفعله المشركون وأدنى، وحق قدره أن يوحد في كونه وكيانه، في ألوهيته وربوبيته، وفي أنه المبدأ وإليه المعاد، وله ما بين المبدأ والمعاد.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٤.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ علّها هذه الأرض جميعها؟ أم جنس الأرض بسبعها المستفادة من آية الطلاق: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾<sup>(١)</sup> وهي أخرى، حيث المقام مقام الجمع في قيامة التدمير والتعمير يوم الجمع، فلماذا تفلت الأرضون الستة الأخرى عن هذا الجمع، وقد لا تشملها السماوات أم يبعد؟ ثم التأكيد ﴿جَمِيعًا﴾ لا يأتي إلا للجمع، فلا يقال جاء زيد جميعاً.

وترى ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ ليست قبضته يوم الدنيا حتى تكون ﴿قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾؟ إنه أقبض الأرض عباده يوم الدنيا عارية مضمونة، دون أن يتخلى عنها في ملكها، ولكنها يوم الأخرى تخرج عن هذه القبضة العارية، فهي هنالك له ملك خاص قد ارتفعت عنها أيدي المالكين من بريته، والمتصرفين فيها من خليقته، وقد ورث تعالى عباده ما كان أودعهم من ملكها يوم الدنيا، فلم يبق ملك ولا مالك إلا بطن.

وليست قبضته - فقط - ملكه، بل وجمعها بعد بسطها، وتدميرها بعد تعميمها، وكما ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ جمعاً لأقطارها، وطياً لانتشارها: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾<sup>(٢)</sup> ف«يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض»<sup>(٣)</sup>.

وإنها ليست القبضة الإلهية قبضة اليد الجارحة، كما ليس طي السماوات بيمينه الجارحة، وإنما هي القدرة اللامحدودة، فمن قال إنها قبضة الأنامل ما قدره حق قدره<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٣) الدر المنثور عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: ...

(٤) الدر المنثور أخرج عن ابن عباس قال: مرّ يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس قال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع السماوات على ذه وأشار بالسبابة: والأرضين على ذه والجبال=

ف ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ عن اليد الجارحة بأناملها ﴿وَتَعَلَّى﴾ عن أن يشرك به غيره أو يشبهه بغيره ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (١) :

هذه أصرح آية في الجمع بين نفختي الإمامة والإحياء، ثم لا نرى صريحة فيهما إلا لإحداهما، والأخرى هي الأكثر، ومن الأولى وهي الأقل منها: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٰهُ دٰخِرِينَ﴾ (٨٧) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب... ﴿(٢)﴾ وقد عبر فيهما عن الموت الناتج عن النفخة الأولى بالصعقة والفرع.

والنفخة هي الصيحة وهي كما هي مرتان للإمامة والإحياء، طالما بينهما معاكسة في قلة الذكر وكثرتها في الذكر الحكيم، فالنفخة أكثرها في الإحياء والصيحة في الإمامة.

و﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هنا دليل على أن الأولى هي نفخة الإمامة وصيحتها، والتعبير عنها بالصعقة، علّه تلميح أنها صعقة الروح حيث الجسم لا يصعق، والموت بخروج الروح عن البدن - وهو حي في برزخه - ليس صعقة، لا للجسم ولا للروح، ثم و﴿مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ حيث

= على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير بأصابعه فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] أقول: وأخرجه مثله عن مسروق عنه عليه السلام وخلافه المروي عن ابن مسعود عنه عليه السلام مضروب عرض الحائط أنه جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله عليه السلام فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يحمل السماوات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول: أنا الملك فضحك رسول الله عليه السلام حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله عليه السلام وما قدروا الله... أقول: ضحكه كان تنديداً وكما تندد به الآية.

(١) راجع الجزء ٣٠ من الفرقان تجد تفاصيل النفخ في الصور.

(٢) سورة النمل، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

تعم الأحياء هنا وفي البرزخ وهم أمواتٌ عما هنا، لمحة كدلالة ثانية أن الأرواح هي المُصعقة وفَزعة كما في آية النمل.

ففي النفخة الصيحة، ليست لتموت - فقط - الأبدان، فإن أهل البرزخ منهم قد ماتت أبدانهم من ذي قبل، ولأن الأرواح يغشى عليها دون موت، لأنها نفخة الإمامة ومن ثمَّ الإحياء، بل إنها تموت في غشيتها وصعقتها، فلا أن لـ «من في السماوات والأرض» صعقة دون موت ولا موة دون صعقة.

وإنما جمع بين الأمرين، طالما الأحياء - إذاً - لا برزخ لهم، والأموات تموت أرواحهم في البرزخ كما الأحياء هنا دون برزخ، فعند ذلك تبطل الأشياء وتغنى فلا حس ولا محسوس... (١).

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ حيث يظلّون دون صعقة ولا فزعة، سواء الأحياء منهم - حينئذ - والأموات، فلا موت لهم بمعنى الفوت في هذه الفترة لكرامتهم على الله، ولأنهم وجه الرب ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (٢) فكما الله حي لا يموت، كذلك وجه الرب، ومنه هؤلاء الأكارم الذين كانت حياتهم في كل وجهاتها وجنبااتها في وجه الرب، فهم - إذاً - باقون ببقاء الله، لا تصعقهم الصعقة ولا تفزعهم الفزعة.

(١) نور الثقلين ٤ : ٥٠٢ ح ١١٧ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل وفيه قال السائل: أفتلاشى الروح بعد خروجه عن قلبه أم هو باق؟ قال عليه السلام: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور - فعند ذلك... ولا محسوس ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها وذلك أربعمئة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين، وقد يقربه ح ١١٥ عن إرشاد المفيد ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك إلى المدينة قدم عليه عمرو بن معدي كرب الزبيدي فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر فقال: يا محمد! وما الفزع الأكبر فإني لا أفزع! فقال: يا عمرو! إنه ليس كما تظن وتحسب أن الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت إلا نشر ولا حي إلا مات إلا ما شاء الله ثم يصاح بهم صيحة أخرى فينشر من مات ويصفون جميعاً...

أقول: النشر الأول هو موت الأموات بأرواحهم، والنشر الثاني هو حياتهم بالصيحة الثانية.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

أترى من هم ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾؟ لا ريب أن منهم الرعيل الأعلى من أصفياء الله، وهم الواحد والاثنان والخمسة والأربعة عشر<sup>(١)</sup> المعصومين المحمديين صلوات الله عليهم أجمعين.

وعلّ منهم سائر أولي العزم وكما في المسيح ﷺ ﴿وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا﴾<sup>(٢)</sup> فإن الحي لا يبعث حالة الحياة إلا أن يكون من ﴿مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وإلا كان حق القول «أبعث ميتاً» ف ﴿أُبْعِثُ حَيًّا﴾ انتقاله من الحياة البرزخية إلى الآخرة، ومن ثم يحيى ﷺ كما فيه: ﴿وَيَوْمَ يُبْعِثُ حَيًّا﴾<sup>(٣)</sup> بنفس الدلالة، أمّن ذا من أضرابهما بين النبيين.

وإذا كان الشهداء ممن شاء الله كما يروى<sup>(٤)</sup> فأحرى بالنبيين والصدّيقين وهم أفضل منهم أن يكونوا ممن شاء الله، وقد تلمح آيتا حياتهم عند ربهم أنهم ممن شاء الله، فلتكن حياة تخصهم بين الأموات فإن لهم حياة عامة يصعقون عنها إلا من شاء الله.

وإذا كان الشهداء وهم الدرجة الثالثة من الأصفياء ممن شاء الله، فليكن منهم جبرائيل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل وحملة العرش وكما يروى عن رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup> كما منهم كافة النبيين فإنهم قبل الشهداء بدرجتين اثنتين.

(١) الواحد هو الرسول محمد ﷺ والاثنان هو وعلي، والخمسة هما وفاطمة والحسان، والأربعة عشر هم والتسعة من ذرية الحسين ﷺ.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٣.

(٣) سورة مريم، الآية: ١٥.

(٤) كما في الدر المنثور ٥: ٣٣٦ عن النبي ﷺ قال: سألت جبرائيل عن هذه الآية... (من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم)؟ قال: هم الشهداء مقلدون بأسيا فهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة ﷺ يوم القيامة بنجائب من ياقوت...

(٥) المصدر أخرج الفريابي وعبد بن حميد وأبو نصر السجزي في الإبانة وابن مردويه وأنس قال قال رسول الله ﷺ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ﴾ ونفخ في الصور فصعق... قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين استثنى الله؟ قال: جبريل و... .

﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ .

﴿ثُمَّ﴾ هنا قد تلمح أن ليس الفصل بين النفختين بقليل، و﴿يَنْظُرُونَ﴾ هي نظر العيون ونظرة القلوب، حيث ينتظرون ماذا يؤمر لهم من رب العالمين بعد نفخة الإحياء، حالات متتابعة لا تدافع بينها: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾<sup>(١)</sup> مسرعين ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾<sup>(٢)</sup> فإنهم بعد نسلهم إلى ربهم أفواجاً لموقف الحساب، قيامٌ ينظرون حسابهم، وهنا:

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٦٩)</sup> :

الأرض هذه ليست هذه الأرض، حيث ﴿بَدَّلَ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>(٤)</sup> وإنما هي أرض القيامة الساهرة ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾<sup>(٥)</sup> وهي أرض الحشر الحساب، ومن ثم أرض الجنة ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾<sup>(٦)</sup> أم أرض النار.

وترى أن ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ هو ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٧)</sup> كما في آية النور؟ وهذا كائن منذ خلق الله الخلق ما هي كائنة! ﴿وَأَشْرَقَتِ﴾ هي إشراقة بعد النفخة الثانية! ونور الله أعم من نور الرب حيث تضمن ربوبيته! اللهم إلاً

(١) سورة يس، الآية: ٥١ .

(٢) سورة النبأ، الآية: ١٨ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤٨ .

(٤) سورة الحاقة، الآية: ١٤ .

(٥) سورة النازعات، الآية: ١٤ .

(٦) سورة الزمر، الآية: ٧٤ .

(٧) سورة النور، الآية: ٣٥ .

نور الهداية الخاصة زمن الدولة الأخيرة الإلهية بالقائم المهدي عليه السلام حيث تتجمع أنوار الرسالات الإلهية فتشرق الأرض بعد ظلامتها حيث تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً<sup>(١)</sup>؛ ولكنه قبل القيامة الكبرى، وإن كان من مصاديق ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ جرياً وتأويلاً.

أم هي نور ربوبية الحساب عدلاً وفضلاً حيث يكشف الغطاء عن الأبصار: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup> وعن المبصرات والمسموعات: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾<sup>(٣)</sup> نور مطلق لا ظلام معها حيث ﴿تُبَلَى السَّرَائِرُ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾<sup>(٥)</sup> ولكي يتم نور الربوبية لأهل الحشر في الحساب: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كتاب الشريعة ميزاناً وكتاب الأعمال ليوزن به.

﴿وَجَاءَءَ بِالتَّيِّنِينَ﴾ سؤالاً عن رسالتهم ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٦)</sup> وافتقاء لشهادتهم: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ بعدهم من الصديقين

(١) نور الثقلين ٤: ٥٠٣ ح ١٢١ عن القمي بسنده عن المفضل بن عمر أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول في الآية: رب الأرض يعني إمام الأرض، قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزون بنور الإمام، ورواه مثله في إرشاد المفيد عند عليه السلام: إذا قام قائمنا . . .

أقول: لأن النور هنا هي نور الهداية التي يحملها القائم عليه السلام فقد يصح نسبتها إلى الإمام مهما كانت من الله تعالى.

- (٢) سورة ق، الآية: ٢٢.  
 (٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.  
 (٤) سورة الطارق، الآية: ٩.  
 (٥) سورة الحاقة، الآية: ١٨.  
 (٦) سورة الأعراف، الآية: ٦.  
 (٧) سورة النحل، الآية: ٨٩.

المعصومين كأئمة الدين: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . . . ﴾ (١) (٢).

فالأئمة عليهم السلام شهداء من الرسول على الناس، وشهداء لأعمالهم تلقياً وإلقاءً، وشهداء في سبيل الله، فمن أحرى منهم - إذاً - في حظيرة الشهادة، وقد تعم الشهداء كل مستشهد في سبيل الله حيث هي جمع الشاهد والشهيد، فلتعهما معاً: الشاهد الشهيد وغير الشهيد.

وكذلك سائر الصديقين ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ . . . ﴾ (٣). ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (٤).

ومن الأرض بأكنافها وفضائها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (٥) ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (٦) ﴿وَمِنَ الْأَعْضَاءِ﴾: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦) آمن ذا وماذا من شهداء؟

وهناك . . . وقد تمت شروطات القضاء العدل محكمة وشاهداً ومشهوداً عليه وأعمالاً، حيث ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ الناصع الخالص دونما تخط ولا خطأ قيد شعرة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ نقيراً ولا فتياً.

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) تفسير البرهان ٤: ٨٨ ح ٤ القمي قال في الآية الشهداء الأئمة والدليل على ذلك قوله في

سورة الحج: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ . . .﴾ [الحج: ٧٨].

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٥) سورة الزلزلة، الآيتان: ٤، ٥.

(٦) سورة النور، الآية: ٢٤.



﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ :

وهنا ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ دون «جزاء ما عملت» دلالة واضحة على أن الأعمال - خيراً وشرّاً - هي بنفسها الجزاء، بما تظهر في ملكوتها وحقائقها، حيث ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ و﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>؟.

ثم - وكل هذه الشهادات بحذافيرها ليست لتثبت شيئاً عند الله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ بل ولكي يعلم العاملون أن الله كان عليماً بما يعملون، ويعلموا هم ما ربما كانوا ينسون أو يجهلون فلا يكذبون.

هنالك يصدر حكم الرب دون نقاش وجدال، فإنه مشهد النور والظهور، بشاهد العدل والرب النور، فلا كلمة تقال، ولا صوت يرتفع، فمن ثم:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوْىِءَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾﴾ :

هنا زمر النار ومن ثم زمر الجنة، فليس كلُّ زمرة واحدة، حيث الكفر درجات فزمر النار درجات، كما التقوى درجات فزمر الجنة درجات. للنار ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾<sup>(٢)</sup> وللجنة ثمانية.

والزمرة هي الجماعة، فهنا جماعات وهنالك جماعات بفارق مختلف الدرجات والدرجات، ولأن النار طباق سبعة ولها سبعة أبواب فعل أهلها سبع جماعات، بفارق مختلف الشيطانات.

(١) سورة النمل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٤.

من شيطان - وبقر - وثعلب فهذه ثلاث، ومن شيطان بقر، أو شيطان ثعلب - أو ثعلب بقر وهذه ثلاث أخرى، ومن شيطان ثعلب بقر، جامعاً ثلوث الشيطانات فإنه في الدرك الأسفل من النار<sup>(١)</sup> فلكلّ درك شيطانه، يدخل من بابه فادخلوا ﴿أَبْوَابَ جَهَنَّمَ...﴾ وقد تكون أسماؤها المأثورة تناسب دركاتهما<sup>(٢)</sup> وسوق هؤلاء الزمر إلى جهنم سوف يكون مهاناً ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾<sup>(٤)</sup>.

أترى الذين كفروا تشمل أصحاب الكبائر غير التائبين ولا المشفع لهم؟ وهم بين مسلمين ومؤمنين آمن هم من غير الكافرين! وليسوا هم من الذين كفروا مستكبرين وفي جهنم خالدين والآية تعنيهم!

أم هم من الذين اتقوا؟ وقد طغوا هؤلاء وبغوا، وأين الذين اتقوا من هؤلاء الذين طغوا مهما كانوا في زمرة المؤمنين أو المسلمين!

إنهم عوانٌ بين هؤلاء وهؤلاء، فلا هم من أهل الجنة بهكذا تكريم: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ...﴾<sup>(٥)</sup> ولا من أهل النار مستكبرين وخالدين، فإنهم آخر مصيرهم الجنة مهما دخلوا النار، أم عذبوا قبل النار، فإنه قضية العدل جزاءً وفاقاً.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا﴾ فأبوابها مغلقة - إذاً - قبل أن يجيئوها، خلاف أهل الجنة، فإن أبوابها مفتوحة قبل أن يجيئوها لمكان

(١) وهذه خصائل الإنسان المرذولة المقسمة إلى سبع.

(٢) نور الثقلين ٤: ٥٠٤ عن المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام أن جهنم لها سبعة أبواب إطباق بعضها فوق بعض ووضع إحدى يديه على الأخرى فقال هكذا، وإن الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية.

(٣) سورة الطور، الآية: ١٣.

(٤) سورة مريم، الآية: ٨٦.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٧٣.